(٨)

الشيطان والرحمن
في كائن الإنسان
هو لهما عالم، وهو بهما علمان
في أمره من الرحمن رحمانا، وهيكله من الأكوان شيئا
وشيطانا

حديث الجمعة

٧ شعبان ١٣٨٤ هـ - ١١ ديسمبر ١٩٦٤ م

بسم الله

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نعوذ بالله، أقرب إلينا من حبل الوريد، بروح الحياة منه، من الشيطان الرجيم، يجري منا مجرى الدم في بيت الذكر له.

نستعين عليه بالله، حتى يُسلم لله، ونتوسل برسول الله، حتى يؤمن بنور الله، ونتوكل على الله، حتى يخضع لذكر الله.

نجاهده في الله لله، طمعا في جوده، كما يجاهدنا في نفسه لنفسه لبقاء ظلام موجوده.

ندعوه إلى الله، حتى يستيقظ في موجوده لعدمه، ويدعونا إلى نفسه، حتى ننزلق إلى مآله لندمه. وكلانا في أمره المجاهد، ولزميله المعاند، حتى يجمعنا الأعلى على أمره لأمرنا أمرا له. (كان لي شيطان ولكن الله أعانني عليه فأسلم فهو لا يأمرني إلا بخير)[١].. (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم[٢]، ضيقوا مسالك الشيطان بالجوع والعطش[٣])، إن الإنسان بشيئه لأناه مع روحه لربه لكنوده، {إن الإنسان لربه لكنود}[٤].

يَدَّعيه بدءا للوجود، ويطلبنا للشهود، وندعوه إلى من أوجده، حتى يشهده، برسول الله إليه بنا، عقلا ونورا له ولنا، حتى يرعوي، وحتى توضع الأمور في نصابها فينطوي، وترد السيوف إلى جرابها، فلا نلتوي، فيقوم الروح لنا وله بيننا وبينه بالسلام، ويتواجد لنا وله مع الروح الأمان.

فنصير واحدا في الله بعد اثنين، ونرجع إلى الحق هو لنا ونحن له، نحن الاثنين. كلانا في نظرنا لنا للأعلى في الله عبد، وكلانا في وحدتنا لأخيه خليل وعليه دليل، وكلانا وجوه أحدنا في أحديتنا لأخيه خليل وعليه دليل، وكلانا وجوه أحدنا في أحديتنا بخصائصنا لصفات معادننا على عمله رب. وكلانا بأناه لعين أخيه يؤثر على نفسه مع مؤاخيه. وكلانا يخالل من آخاه في الله، ويَواد معه فيه خليل لخليل، ويعرف الود في الله والمودة فيه حبيب لحبيب، فيعرف الحب ويؤمن به ويدرك ويدعو إلى المحبة فيه.

{وخلقناكم أزواجا}[٥] بظاهر وباطن لكم، ظاهركم العبد لباطنكم الرب، وظاهركم الرب للأدنى، لباطنكم العبد للأعلى، والله من وراء العبد ومن وراء الرب، لمعانيكم للحق بهما، قائم إنسان الله بإحاطته وقيوميته لقائمكم لقيامه فيه.. آحادا له به.

في الله نجتمع بفطرة الوجود يوم نعرفه بالحياة له بنا، فلا أنا ولا أنت ولا هو، ولكنه الله، ولكنه الحياة. وفي الله بها على الله لمعاني وجوهه لأمره بها نتحاب فنأتلف، ونجاهد أنفسنا، فنفترق في معنى الاستقامة على طاعته فنختلف في النظر على ما يكون لمرضاته، صادقين فيما فيه نقوم، حتى يتلاشى يوما قيامنا إلى قيامه. حاضرنا لنا، كل منا على ما يدرك، لا يعترض على أخيه، ولا يعطل له عملا فيه، بل يعينه على مراده ليسترضيه، محتفظا بالود بينهما يستبقيه، ليكونا في الله واحدا فيه.

أنا لربي، عبدا له وحقا منه، مع نفسي عالما لكوني ووجودا لأناي بمعناي نتواصى بالحق، ونتواصى بالصبر، ونطمع أن تلحقنا يد المحيط بنا من الله، فتنتشلنا من عوالم الحمقى والحمق، فعلى الله إيمانا به ومحبة له نأتلف، وبوجوده في وجودنا نعترف، وعلى المجاهدة لإعلاء أمره وظهور كلمته بنا قد نختلف، فهو الغيب، في غيبة أحدنا عن أخيه بحقه فيه له. وهو الشهادة يوم نجتمع علينا فينا فيه، (المؤمن مرآة المؤمن)[٦]، فنرانا لبنات في بيوت معانيه، وفي بنيان عوالم معاليه.

نحقق ذلك لنا بعملنا يوم نتجمع، لبنات فيه، حول لبنة، بمن من بيننا يصطفيه، ننكر علينا معه ليجعل منها ومنا نُصبا، للحائرين فيه، والدائرين حول أنفسهم في دائرة مفرغة من مبانيه، بعيدين عن مركز للحياة لدائرة وجود وتواجد فيه، طلبا لحقائقه ومعانيه اتجاها لقبلتهم في أنفسهم، {وفي أنفسكم أفلا

تبصرون}[٧] (إن لله كنوزا مفاتيحها الرجال)[٨]، مع معلم وخبير فيه، يدعو إلى الله مع كائن على بصيرة به وحقيقة فيه.

ما اجتمع الإنسان على الإنسان في الله بصدق إلا ويجعل الله منهما لهما فيه قبلة حياة، تقام معها الصلة وإليها الصلاة، عندهما منهما ذكرا لله، وبقيام الصلاة في قيام الصلة بين العقل والقلب يذكر الله، (المؤمن مرآة المؤمن)[٩]، يوم يؤلف الله القلوب، وتعلو كلمة الله. فما قامت الصلاة، إلا لذكر الله، {وأقم الصلاة لذكري}[١٠]، وما أقام الصلاة، إلا ذكر الله، وما كان مذكور الله، إلا ذاكر الله، ذكر لذكر، يوم يتجمع على ذكر الله، قلب على قلب، {وألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم}[١١]، {يا أيها النبي لا تطع الكافرين والمنافقين، إن الله كان عليما حكيما}[١٢]، {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه}[١٣]، {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[١٤].

ويوم تتجمع القلوب، تتلاحق فتتحد، فتتلاحق القوالب فتنتظم. ويوم تتلاحق وتتلاحق القلوب والقوالب، يشاد ويرفع البيت، فتقام منابره، وتعلو وتشرق مناراته، وتصدح بدعوة الحق مآذنه، فتعلو كلمات الله بكلمة الله الجامعة لها، {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه}[١٥]. بذلك تستقيم الأمور في الله، ويستقيم العمل الصالح، وتثمر الحياة، {في بيوت أذن الله أن ترفع، ويذكر فيها اسمه}[١٦]، هي قلوب اصطفائه، لإنسان عطائه، إنسان الله وعبده، إنسان الله ورسوله، {رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله}[١٧]، في بيوت موضوعة أو مرفوعة، {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا}[١٨].

إنسان الله.. مأمول كل إنسان، ومطلوب كل إنسان، هو الحياة لكل كائن، ولكل شيء، يوم يطلب الكائن الحياة، ويوم يطلب الشيء الكيان، ليزحزح عن توقيت أناه بوصف الخلق، إلى موعود معناه، لوجه الحق، {فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز}[١٩]، {ولمن خاف مقام ربه جنتان}[٢٠]، جنة للقيام في قيام بإحسان، وجنة للمآل مدركة بحس وعيان قطوفها دانية، وجنى الجنتين دان، فهو من جنان إلى جنان، حتى إلى جنة أناه، بفردوس ذاته، لأحدية معناه، حرثا زرع، وحصادا جناه، بما قدمت وفعلت يداه.

الله قائم على كل نفس، وهو أقرب إلى النفس من حبل الوريد عند كل إنسان، والدنيا والآخرة في الإنسان تجتمعان يوم يسلم لله شيطانه، ويجمع له من القلوب بنيانه، ويحدد له في الوجود مكانه، فيقوم فوق الأزمان زمانه، وقد صار وجها باقيا لله، كل من عليها فان يوم تمسكه الدنيا بسلطانها، وتشده إلى بنيانها، والذي يبقى ممن عليها من كان وجها لله.

كل الذي فوق التراب تراب، ويبقى له معناه من الوجود بالحق، يوم يدرك أنه ليس هو مبناه، ولكنه هو المالك لمبناه، إنه ما به من الحياة، إنه ما به من الروح، وإنه بأحدية جماعه من المعنى والمبنى العبد للأعلى، والرب لما يصنع، يدا لمولاه، {والله خلقكم وما تعملون}[٢١]، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[٢٢]، {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}[٢٣]، {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى}[٢٤]، إن الله بقيامه على كل نفس بما كسبت، جعل من كل نفس وجودا كاملا، أو نواة لوجود كامل، فيه كل قضايا وشعارات وحقائق الدين. وتكفل بالجميع لغايته به، وكلف من اهتدى بمن طلب الهدى، أزلا وأبدا، وطلب من الجميع أن يرى الله له معه، وأن يطلب الهدى مع من اهتدى، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[٢٥]، و{لتركبن طبقا عن طبق}[٢٦]، (المؤمن مرآة المؤمن)[٢٧]. (المرء على دين خليله)[٢٨].

إن الذين يتجمعون متواصين بالحق في الحق، متواصين بالصبر صابرين بالله له، فإن يد الله معهم دوما، (يد الله مع الجماعة)[٢٩]، بالغ بها مراده لها يوما، {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}[٣٠]، وهو الله بظاهره لظاهرها وبباطنه لباطنها، وتنهى عن المنكر وهو ما غاير الله بموهوم وجود لموصوف الخلق، لمعنى الشرك به بقيام النفس شريكا له في عزلتها عنه بمعناها، أو بشيء مبناها، فما كان الله في دين الفطرة إلا الحياة للأحياء، وما كان الشيطان في دين الفطرة إلا في عبادة البنيان والأشياء، قامت للنفس في حيرتها وظلامها في بحثها عما تحب وعما ترضى حجابا للحق بها عن الحق لها، عطلها عن إدراكها لإحاطة الأعلى بها من خلفها، هي وجه له.

فما كان إبليس للإنسان، إلا نفسه، يوم ينطبع بها في تيهها وضلالها، في غيها وبهتانها، في وهمها وكبريائها، في فهم عزلتها عن إرادة مبدعها وخالقها، بقائمها في قيامها لشيئها، في نسيانها للأعلى بوهم عليائها، في تجاهلها وجهلها للموجد لها بقديمها، {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}[٣١].

(الإسلام دين الفطرة)[٣٢]. فما تكون الفطرة؟ وما يكون دينها؟ وما يكون الكائن البشري، والشيء الآدمي منها، في ميدان الفطرة ومجالها؟ وما يكون الرسول عند المرسَل إليه؟ وما يكون الرسول من المرسِل له؟ وما يكون الله للمُرسَل إليه، وللرسول، وللمرسل له؟

هذه هي قضايا الإسلام، يوم يقوم الإسلام حقا دينا للفطرة، وكتابا للنفس، وإشراقا من المعرفة، عند العارف، بانطلاق نور العقل، وإحاطته بظلام الذات كثيفة ولطيفة، وسلطانه عليها، يدا لله ممسكة بها، موقظة ومحررة لها، ونورا للفؤاد، متواجدا في القلب، ومشرقا منه. به قامت معرفة الإنسان عن نفسه في دائرة وجوده، بمعرفته عنه في دائرة حقه وحق رسوله.

آمن بالله حقا، ولقيه رسولا، فتعارف إليه في نفسه حبا ومثالية، يوم دخل في بيته من ذاته قبلة، ومن نفسه لهيكله وجودا، ومن وجوده لمعناه عالما، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[٣٣]، {ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}[٣٤]، {فلنولينك قبلة ترضاها}[٣٥]، {يا أيتها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي وادخلي جنتي}[٣٦]، {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[٣٧].

بذلك كان في دخول الإنسان قبلته دخولا في جنته، بالقلب الواسع الرحيم، دخولا في أولى جنانه لعالم الروح الأول، وكان ذلك أمرا مُدركا لحسه، قرين دخوله في نفسه من النفس الكلية لكله، لقيها وعرفها لكوثر الرسول ومراكب خلاصه، محققا لنفسه نفخة الروح في أسوار بنيانه، نورا على نور، وروحا على روح، وحقا على حق، باجتماعه إلى جماعته بنيانا إلى بنيان، وطبقة فوق طبقة، يوم يدخل البنيان في بنيان أكبر، والطبقة في طبقة أعلى، والروح في روح أعظم، خلقناكم أزواجا وقمناكم آحادا.

إن التزاوج والفرقة في الإنسان أمر متواجد فيه، بدءًا من أحده لوحدة ذاته في كيانه لكائنه، فالصراع في الحب والبغض قائم فيه بين أبعاضه، وهو سعيد بالحياة ما تواءمت وتساندت أبعاضه، مواصل لها ما اتحدت، وما تخلى عن حاضر جسده من أجساده، كانها وينتظرها لمعنى أناه إلى معناه من الروح والحياة.

وهو شقي بالحياة دوما، وفاقد لها يوما، ما تنافرت أبعاضه، ولمعناه قبل مبناه هزمت وهدمت، (كل الناس هلكى إلا العالمون..)[٣٨]، {بعضكم لبعض عدو إلا المتقين}[٣٩]، (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)[٤٠].

يوم تتزاوج المجموعة اليمنى العصبية، والمجموعة اليسرى، يحيا القلب بجناحيه من الرئتين فيستطيع الصعود إلى الرأس ويشرق العقل بنور الله، فيستطيع الدخول إلى بيته من الصدر فتتلاقى الرأس مع القلب، إذ تتلاقى الإرادة مع العاطفة على مراد واحد، فيتزاوج الظاهر مع الباطن، والباطن مع الظاهر، إذ يتكشف اللطيف المحيط للقبلة بالمركز، إذ تتحول الذات فؤادًا للطيف القلب العتيق المنطلق.

تتزاوج الروح مع الذات، في تزاوج قديم أسماءَ الصفات مع قائم المعنى للأنانية بالحق للذات الروح المتجسد، فإذا ما قامت الحقيقة من مظهر الفرد إلى مظهر الجمع عروة وثقى، تزاوج الروح لقديم الأسماء، مع حاضر الروح القائم، لحاضر المسمى بالبشرية، بيت الله وإنسانه، فيتواجد المؤمن لموصوف الخلق لبطونه لمعنى المؤمن لموصوف الحق، ويعرف ويلاقي المؤمن بقائمه، لباطنه لاسمه المؤمن، فنعم الاسم لله، (المؤمن مرآة المؤمن)[٤١].

وهكذا يظهر الحق بالإنسان يوم يبعث الإنسان بالحق، فنعم الاسم المؤمن، الرفيق الأعلى، فالرفيق الأعلى، فالرفيق الأعلى في الله ذي المعارج، حتى إلى المؤمن بنفسه الغني عن العالمين المطلق في معناه ومبناه، الذي عنونه الإنسان، في إيمانه بوجوده، الإنسان القائم في ذاته لذاته بذاته، بلا إله إلا الله، شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم.

من دخل في اللانهائي لا يشهده مغايرا لوجوده، ولا يشهد غيره لموجوده، إلا أن يشهد لنفسه شهادة الأعلى لنفسه، ويعلم عن نفسه علمه لنفسه، بما شاء أن يعلّمه عن نفسه، بمعلوم الله عنه له، عالما به في نفسه منه، اسما ووجها له، {شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة وأولوا العلم}[٤٢] شهدوا شهوده بشهادته لنفسه في أنفسهم، فما ظهر الله لمشاهده بوجوده ذاتا تشهد إلا برسول منه، وما ظهر بروحه إطلاقا يدرك إلا لعبد له، وما ظهر باسمه الله، إلا لعينه به، يتسمى وجها لوجه له، وحقا لحق منه، فالأسماء للكائن الإنساني في أطواره تفنى إلى اسمه لمسماه به، إذ يبقى اسم الله له، وتفنى أسماؤه لمبانيه بفنائها عنه إلى اسم بانيه ومظهره ومبديه.

فما ظهر باسمه الحق من الله ابقاءً له بالأسماء الحسنى يبقى وتفنى أسماؤه، بما سماه به آباؤه، إلى اسم مبدعه، لذوات التسمي خلقها الخالق لنفسه في أطوارها لذوات صفاته، إلى مسماه لاسمه الجامع (الله) له في أحسن تقويم، عَلَم الوجود المطلق، الكل وجهه.

نعم المسمى للاسم الخالد، اُختبر فصمد، وعرف الله في وجوده الأحد، يوم به توحد، فظهر به وجه الآحاد وجها لها من وجوه الكل وجهه، وحقا لها من حقائق الكل حقه، وعبدا لها من عباد الكل عبده، فذلك هو عالم الرشاد.

لا يحجزه مكان له من الوجود، ولا ذات له في السجود، عالم سقطت عن أهله قيمة الأسماء، كما تحررت أعلامه عن معالم الصور والأعلام والأشياء. هذا العالم هو ما تدعو إليه الفطرة، وتقومه لها الصبغة. هو عالم الكمال الإنساني، لا يغيب فيه الحق، ولا يتردد فيه بين أهله لفظ (الله) لمعلومهم عنه لمعنى غيرهم به، لإدراك قيامهم به لجماعتهم له، {أليس منكم رجل رشيد}[٤٣].

(ليس الشأن أن تعرف ما هو الاسم الأعظم، ولكن الشأن أن تكون أنت الاسم الأعظم)[٤٤]، ليس الشأن أن تشهد وجه الله بآدمية رسوله، فمتى غاب وجه الله! وهو المحيط من وراء كل شيء، بالأشياء يشهد، وقد اختفى عنك في شدة ظهوره بك، عن ظهوره لك، {فأينما تولوا فثم وجه الله}[٤٥]، تراه إذا لحقك لطيفه لبصيرتك، فنظرت بعينه إليه، فليس الشأن أن تشهد وجهه في الكائنات،

ولكن الشأن أن تكون أنت وجها لله معلوم أمرك، وأنت في حاضرك من أطوارك بقائم كرتك، لمشهود نفسك في مرآة أخوتك فيه، تراك بمعناك لمعنى وجهه في مرآة الوجود فيما ترى.

الكل يحمل معنى الوجه لله، نضر وجهه أو غبر، فأنت وجه لحجب نوره بعوالمها ما كنت من عوالم النور، أو وجه لحجب ظلامه بعوالمها ما كنت من عوالم الظلام، ولكن هل ستحرص على أمانة الوجه له؟ هل ستبقى لك أمانة الوجه له، أم أنها ستتخلى عنك؟ يوم تفرط في أمرك به، لأنها عارية، أنت عنها فيها مختبر، وهي لك في معيتك تنتظر، فهي بك تظهر يوم تكسبها وتربحها هدية من الله وهبة منه، رحمة بك، قدمها بدون مقابل منك، أو عمل يصدر عنك، {ليبلوكم في ما آتاكم[٤٦]، أيكم أحسن عملا[٤٧]}، و{الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس}[٤٨].

جعل الرسول قدوة مرضية كافة للناس يوم اصطفى محمدا من عالم الأديم لآدم ليكون آدما مرة أخرى، وجعله منه حقا يشهد ويقصد يوم اصطفى قبضة من نوره، حضرة من أهل نوره، حقيقة من عوالم نوره، لتكون لمصطفاه من ناشئة الليل، فقال لها كوني محمدا فكانته، فتواجد به الإنسان له أزواجا من النور، ومن الطبيعة، تطورت به الطبيعة إلى فطرتها لصبغتها بأطوارها، يوم امتزج بها أنواره ليبقى لها ولتبقى به، {آتيناك سبعا من المثاني}[٤٩]، {والنور الذي أنزلنا}[٥٠] معه، به تشهد، وبه تتواجد، وبه توجد، وبه تصطفى، وبه تعمل، وبه تخلق، كشفا لما كان متواجدا للإنسان بالآزال بلا بدء، وبشرا بما يتواجد للإنسان بالآباد بقاء بلا انتهاء، لخير الناس بما هو قائم بالعروة الوثقى لحاضر الحياة بين الآزال والآباد، {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}[٥١].

فالإسلام بوصفه دين الفطرة، به يتحرر العلم من كل قيد، وبه يُدرك العقل يوم يتحرر من قيود المادة لقيد ذاته، فينطلق في الوجود، خلق له، جنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين، ثم يعود ليهجع في ذاته سكينة له، ليتحرر من الوجود إلى الموجِد، لا تقله أرض، ولا تظله سماء، {يا معشر الجن والإنسان، إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض، فانفذوا.. لا تنفذون إلا بسلطان}[٥٢]، {إن العزة لله جميعا}[٥٣]، {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين}[٥٤]، يوم تمتد قدرة الله بعزته إلى رسوله برسوله من رسوله، فيصبح الرسول عزيزا بعزة ربه من الأعلى، ويوم يمتد الرسول بعزته من عزة ربه من ربه في الله ذي المعارج في المؤمنين {أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[٥٥]، فيصبح المؤمنون أعزاء بعزة رسوله، من عزة ربه، فتعرف العزة لله جميعا.

(تعرض على أعمالكم فإن وجدت خيرا حمدت الله وإن وجدت شرا استغفرت لكم)[٥٦]، فما تكون الشفاعة؟ هل لها زمان؟ هل لها أوان؟ هل لها مكان؟ إنه يستغفر لكم في دوام، وتعرض عليه أعمالكم

في كل قيام، وهذه هي الشفاعة. ويوم ترتضونه لأنفسكم مثلا أعلى ارتضاه الله لنفسه، فيرتضيكم لنفسه، فهذه هي الوسيلة. فمتى تكون الوسيلة؟ وأين تكون الوسيلة؟ وكيف تكون الوسيلة، إن لم تكن في امتداد نوره، ومحو ظلام نفوسكم، إلى مشرق نفسه؟

وهذا من الله لكم، يوم تزهق نفوسكم بباطلها وظلامها، وتبعث بنفسه، بحقها ونورها، على ما بعث هو بحق الله بقيام الأعلى من نوره لنفسه وأمره، إفناءً له عنه إلى مفنيه، ببقاء به لمعنى مبقيه.

قامت رسالته على أن يُشهر، وأن يُعلَم، وأن يفعل ذلك للناس، ما تابعوه ولأنفسهم هدية من الله ارتضوه، يوم أمر أن يقول {جاء الحق وزهق الباطل}[٥٧]، {فأما اليتيم فلا تقهر}[٥٨]، فقال (ما أعطيته فلأمتي)[٥٩]، يوم رد السبيل إلى ربه، {إن ربي على صراط مستقيم}[٦٠]، فرد ربه السبيل إليه، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٦١]، بُعث بالحق، فأشهر (والذي بعثني بالحق)[٦٢]، (والذي نفس محمد بيده)[٦٣]، (مَن محمد!)[٦٤]، (من رآني فقد رآني حقا)[٦٥].

عُرِف بالحق الذي عرفَه وعرَّفه، لا يزول ولا يفنى عند المؤمنين بالله ورسوله لأنفسهم. فكيف يزول أو يفنى من بُعث بالحق؟ فيقول لنا الأعلى خطابا له {وما جعلنا لبشر من قبلك الخُلد}[٦٦].. {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٦٧]، {إنا أعطيناك الكوثر}[٦٨]، فصل لربك، وامتد بنورك في ظلام القلوب، حرر به العقول من سجونها، واقتل المادة في وكرها، وانحرهم عنهم، وبك فابعثهم، اقتل نفوسهم بنفسك، وكل نفس أحييت بنفسك فقد أحييت بها الناس جميعا.

{لا نسألك رزقا، نحن نرزقك، والعاقبة للتقوى}[٦٩]، لا نسألك عبادا، نحن نرزقك عبادا، إن الأعلى لك من الله {ألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم}[٧٠] يوم ذكروا الله لأنفسهم وعرفوه لقيومهم بقائمهم إيمانا بالله ورسوله لهم بهم معهم وعليهم، فعرفوا النبي أولى بهم من أنفسهم.

إنك على خلق عظيم، لقد أظهرناك على الدين كله، وكلفناك أن تعلم الناس الدين كله، وأمرناك أن تخاطب الناس على قدر عقولهم، وهديناك أن تصبر نفسك معهم، حتى تحيا أراضي قلوبهم، وتتفتح سجون رؤوسهم، وتنطلق أنوار عقولهم، وتشعل من جذوة الحياة حملناكها إليهم نار نفوسهم، وأن تشيد بهم لهم عوالم السماوات والأرض، نموا وتطويرا لبنيان وجودهم، {أيحسب الإنسان أن يترك سدى. ألم يك نطفة من مني يمنى}[٧١]، و{لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون}[٧٢].

علّمهم الحكمة، وزكهم ليكونوا عبادا لنا فهذا أيسر للقبول عند نفوسهم حتى يأتي يوم تُعلِّمهم ليقدروا الله حق قدره، فيكونوا عبادا لك، فنرتضيهم عبادا لنا فيقدرون الله بمعرفتك حق قدره، على ما قدرته، فيشهدون فضل الله عليهم على ما شهدته.. {وكان فضل الله عليك عظيما}[٧٣].

يا اسم الله.. يا وجه الله.. يا حق الله.. يا بيت الله.. يا نُصب الله.. يا عالم السماوات والأرض للأعلى من الله، وعوالم السماوات والأرض لله، للأدنى من الله، يوم يعلم الناس أنهم بهياكلهم مشروع عوالم للسماوات والأرض، يوم يدخلون في موجود وجودك، ويستقبلون من الله جوده بجودك، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته}[٧٤]، ما قدرتم الله حق قدره، نعم المؤمن الذي {أنعم الله عليه وأنعمت عليه}[٧٥]، {فامنن أو أمسك بغير حساب}[٧٦]، (آخر من يخرج من النار يعطى عشر أضعاف هذه الدنيا)[٧٧].

إنكم يوم تشهدون أنه لا إله إلا الله، إنما تبدأون متابعة رسول الله، إنما تطرقون الباب، إنما تخلعون الجلباب من مادة الأرض، وتبدأون رحلتكم في بحر الحياة، في جلابيب من النور يوم تركبون سفين عترة رسول الله، فتبدأون العلم عن رسول الله، فيدانيكم رسول الله بكفليه لكم من رحمة الله، ويشرق في أفئدتكم بنور الله نورا له لقائم وقيوم نور الله لكم، ويجعل منكم وجوها لله، يوم يجعلكم وجوها له، واسما لله يوم ترتضوكم فيرتضيكم اسما له، فتشهدوكم محمدًا رسول الله، قام فيكم وتقلب فيكم بالسجود لله، فتدخلون المعراج لذي المعارج، مفارقين لعالم مادتكم، سيرا إلى عوالم حقيقتكم.

فإذا ما استقر بكم الحال، وعرفتموكم لا إله إلا الله، وعرفتموكم محمدا رسول الله، بدأت رحلتكم لحقائقكم بمعانيكم لأناكم بين آحاد الله، يوم تخلقتم بأخلاق الله، في تخلقكم بأخلاق رسول الله، وقد عرفتم الله أكبر، فقدرتم الله حق قدره، وعرفتموكم والرسول وربه لله لا شريك له، وهذه هي أقانيم الفطرة لوحدتها لآحادها في دين الإسلام، وهو ما يسميه كتابه {بالتي هي أحسن}[٧٨] عندما يثور الجدل في الله بين المسلمين وأهل الكتاب من بني إسرائيل وغيرهم من أهل الكتب السماوية {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن}[٧٩]، لمعنى المعرفة عن الله.

يوم انتظرتم من الله المزيد، من رسول الله فيكم، ومن الله لمعانيكم، فدخلتم في الله أكبر، وشهدتم وقمتم الله أكبر، فأعلنتم وأشهرتم الله أكبر، الله أكبر، فجددتم تكبيرة إحرامكم من تحريم أوانيكم على غيره، إلى تحريم أعلامكم على غير الأكبر له، يوم قمتم للصلاة، قيام رسول الله إليها في قائم قيامكم، فجعلتم كل صلاتكم لرسول الله، مصليا ومصلى وقبلة صلاة، بقيامكم بمعناه في قيامه بمعناه للأعلى، يوم آمنتم معه بحاضركم أنه لا إله إلا الله، وطلبتم الله أكبر، وجاهدتم أنفسكم لله أكبر.

فيكشف عنكم الغطاء، بعد الغطاء، في معراج إلى الله لكم فيكم، يطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى ذات الله، تشهد لكم بكم فيكم، بها تقومون، ولها تشهدون من ذوات آحاده به فيه لمطلقه للانهائيه. فهو لا يُشهد في أحديته إلا لأحديته، يوم تمحى أحديتك بلا إله إلا الله، في أحدية الأكبر بها، مسيحا لمسيح، حتى للانهائي الحق للحقيقة، في مطلق وجوده وجوده في معراج لا يتناهى.

فتدعوه باسمه الوجود لوجودك حقا وعبدا وخلقا، وتصفه المطلق لإرادتك هي له إرادته، وتشهده الله لمعناك، في شهودك لك وجها له، وتشهدك رسوله معلما لوجوهه، وجوها لك بالله أكبر، مبشرا بلا إله إلا الله بقائمها بك، هاديا محكما، مشهِدا، محمدا رسول الله بقائمك ومعناك لقائمه بك.

بذلك يقوم دين الفطرة في مجال النفس علما بها، في صدودها وودها، في كبريائها وخضوعها، في وهبها بقبول علمها أو حرمانها ورد أعمالها إليها، في إذلالها لتكوينها، وإعلائها، وقيام وصلتها، وتحقيق رجائها، وفي هذا نموها، وصمودها لأطوارها في تطورها لكمالها، بجهل وتجاهل ونسيان وتناسي قديمها، إلى الانشغال بطلب قادمها، بإيمانها بها عبدا لله في قائمها، بلا إله إلا الله، وبمحمد رسول الله، لقيام حق بها بالله أكبر، لدائمها وجها لله وحقا منه وربا على عملها به في فردوس فردها لها، أحدية له من آحاده به.

هذا هو علمنا، على ما يجب أن يكون العلم عن النفس في دين الفطرة.. وهذا هو علمنا عن رسول الله كما يجب أن يعلم في دين الفطرة.. وهذا هو علمنا عن مرسِل رسول الله على ما يجب أن نعتقده ربا لنا وإنسانا لله ورفيقا أعلى في دين الفطرة.. وهذا علمنا عن الغني عن العالمين معبودنا وإلهنا على ما يجب أن يقدر عندنا لنا في دين الفطرة.. وهذا علمنا عن الظاهر بالحق رسولا إلينا يجب أن ينشد منا بيننا في دين الفطرة.. وهذا هو علمنا عن هذا الحق الظاهر لنا بعباد الرحمن بيننا في دين الفطرة.

فهل عرف الناس دين الفطرة؟ وهل قام الناس في دين الفطرة؟ وهل طلب الناس دين الفطرة؟ سيريهم الله آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، فيدخلون زرافات ووحدانا في دين الفطرة، ويعرفون دين الفطرة، ويطلبون دين الفطرة لأنفسهم، يوم يقوم الروح برسالة التعريف عن رب العالمين، وهو ما تقوم به الرسالة الروحية في هذا العصر، ببدء ثابت وئيد متزايد متصاعد متجدد متواجد.

رابطة بين القديم والقائم لجديد يقوم ويتجدد ويتقادم في رباط متصل، ليس به فجوات لحلقات مفقودة بين الحلقات المشهودة بدءا من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ولن يتكامل القرن العشرين إلا بإشهار مولد عصر جديد لكلمة للحق، جديد مسيح لإنسان الله ورسوله.

لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، محمد رسول الله رحمته للناس، وهدايته للوجود، وطلعته للشهود، لا إله غيره ولا معبود سواه.

اللهم يا من جعلت للفطرة دينا.. اللهم يا من جعلت للفطرة صبغة.. اللهم يا من جعلت صبغة الفطرة، اسم الله، ووجه الله، وظاهر الله، وجعلت من علم الفطرة عنها فيها لها، دين الله، وكتاب الله، وعلم الله.. اللهم اكشف حجاب الغفلة عنا، حتى ندخل الفطرة، وحتى نقرأ كتاب الفطرة، في قراءتنا لكتاب أنفسنا، في وجودنا، حروف كلماتك، وكلمات حديثك، وكتب معرفتك، ومعرفة نورك، ونور وجودك، ووجوه روحك، وروح حقك، وحق حقيقتك.

اللهم ألحقنا بمن عرف ذلك كله، وقد أظهرته على الدين كله.. اللهم اجعلنا به منه لنا في وجوده، وفي روحه، وفي نوره، وفي طريقه، وفي مسيره، وفي دائرته، وفي تعاليه، وفي تدانيه، وفي تواجده، وفي تجاهله، وفي علمه، وفي حجابه، وفي كشف حجابه.

لا إله إلا أنت، لسنا غيرك بلا إله إلا الله، شهدنانا محمدا رسول الله، ولسنا غيره بالإيمان به، والمتابعة له، والدخول في كنفه، واللجوء إليه، توسلا إليك، وطلبا لك، وافتقارا إلى رحمتك، جعلته حوضها وبحارها، وجعلته قبلتها ومدارها، وجعلته فيضها ومزارها.

ونحن مع أنفسنا مع مادتنا عرفنانا نحن الشياطين، ونحن الأبالسة، فقنا اللهم به شرور أنفسنا، وارحمنا اللهم به حتى توجدنا، اللهم به نخلقنا بخلقه، اللهم به فتواجدنا لحقي وجودك، اللهم به فابعثنا لدائم قيامك، اللهم اجعلنا به وجوها له، لنكون وجوها لك.

لا إله غيرك ولا معبود سواك.. اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، وأنزل سكينتك على قلوبنا، والسِلم والسَلام على أرضنا، وتولَنا في الكبير والصغير من شأننا، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك.

أضواء على الطريق

يقول السيد/ ا. و. أوستن وهو يقدم لتعاليم السيد الروح المرشد سلفربرش:

(هذه التعاليم التي ينقلها من المصادر العليا، ويصر أنها ليست له بل هو الرسول المكلف بنقلها، لا يقصد بها الإعجاز في البلاغة من كائن أوتي كل الحكمة. كما أنه ليس الغرض منها خلق دين جديد. إذ أن الإلهام لا ينقطع أبدا، وإنما يتوقف على ما لدينا من استعداد لاستقباله. وليس من تعاليم الروحية أننا نجرد أنفسنا من غريزة النقد، وأن نوافق بدون تفكير على كلام إنسان آخر، سواء كان هذا

الإنسان في هذا العالم أم من العالم الآخر. إنه يحتكم إلى المنطق على أن ما لا يتسع له منطق القارئ يرفض أو يترك حتى تثبت عنده صحته).

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف ذات صلة: "ما مِن أحد إلَا وقد وُكل به قرينه مِن الجن، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فليس يأمرني إلا بخير." أخرجه مسلم وأحمد. أيضا: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." صحيح الترمذي.

٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم." أخرجه مسلم والبخاري. وكذلك: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." أخرجه أحمد بلفظه، والترمذي والدارمي باختلاف يسير.

٣ حديث شريف ذكره الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" أن الرسول قال لعائشة: ضيقي مسالك الشيطان بالجوع.

٤ سورة العاديات - ٦

٥ سورة النبأ - ٨

٦ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفَّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

٧ سورة الذاريات - ٢١

٨ حكمة مأثورة تتناغم مع الحديث الشريف: "إنَّ من الناس مَفاتيح للخير مَغاليق للشَّرِّ، فطُوبَى لِمَن جعَل الله مَفاتيح الخير على يدَيْه، ووَيْلٌ لِمَن جعَل الله مفاتيح الشَّرِّ على يدَيْه." أخرجه ابن ماجه في سننه، وهكذا صححه ابن حبان.

٩ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفَّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

١٠ سورة طه - ١٤

١١ سورة الأنفال - ٦٣

١٢ سورة الأحزاب - ١

١٣ سورة الكهف - ٢٨

١٤ سورة النحل - ١٢٨

١٥ سورة فاطر- ١٠

١٦ سورة النور - ٣٦

١٧ سورة النور - ٣٧

١٨ سورة آل عمران - ٩٦

١٩ سورة آل عمران - ١٨٥

٢٠ سورة الرحمن - ٤٦

٢١ سورة الصافات - ٩٦

٢٢ من حديث قدسي: "٠٠ يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم تُرَدُّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمَدْني ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسَه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح. أيضا الحديث: " يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه." صحيح مسلم.

٢٣ سورة الزلزلة - ٧-٨

٢٤ سورة النجم – ٣٩، ٤٠

٢٥ سورة آل عمران - ٦٤

٢٦ سورة الانشقاق - ١٩

٢٧ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

٢٨ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل." أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

٢٩ من حديث شريف: "إنَّ اللَّهَ لا يجمعُ أمَّتي - أو قالَ: أمَّةَ محمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عليَهِ وسلَّمَ - علَى ضلالةٍ ويدُ اللَّهِ معَ الجماعةِ، ومَن شذَّ شذَّ إلى النَّارِ." صحيح الترمذي، والحاكم.

٣٠ سورة آل عمران - ١٠٤

٣١ سورة الرعد - ١١

٣٢ إشارة إلى الآية الكريمة {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} والحديث الشريف: "كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ. صحيح ابن حبان. كما أخرجه البخاري ومسلم مطولا.

٣٣ سورة الذاريات - ٢١

٣٤ سورة الملك - ٤

٣٥ سورة البقرة - ١٤٤

٣٦ سورة الفجر – ٢٧, ٢٩, ٣٠.

٣٧ سورة سبأ - ٤٦

٣٨ حديث شريف جاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي باب "حقيقة النية ومعناها"، بصيغة: "فالنَّاسُ كلهم هلكَى إلَّا العالِمون، والعالِمون كلهم هلكَى إلَّا العاملون، والعاملون كلهم هلكَى إلَّا المخلِصون، والمخلِصون على خطرٍ عظيم"٠٠ وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر: سمعت ذا النون المصري يقول: "الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، قال الله عز وجل: "ليسأل الصادقين عن صدقهم."

٣٩ سورة البقرة - ٣٦

٤٠ حديث شريف. أخرجه البيهقي، كما أخرجه الطبراني بلفظ: " ليس عدوُّك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلته كان لك نوراً، أعدى عدوِّك نفسك التي بين جنبيك."

٤١ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

٤٢ سورة آل عمران - ١٨

٤٣ سورة هود - ٧٨

٤٤ مقولة للسيد أبي الحسن الشاذلي.

٤٥ سورة البقرة - ١١٥

٤٦ سورة الأنعام - ١٦٥

٤٧ سورة الملك - ٢

٤٨ سورة الحج - ٧٥

٤٩ سورة الحجر - ٨٧

٥٠ سورة التغابن - ٨

٥١ سورة الأنعام - ١٢٢

٥٢ سورة الرحمن - ٣٣

٥٣ سورة يونس -٦٥

٥٤ سورة المنافقون - ٨

٥٥ سورة الأحزاب - ٦

٥٦ حديث شريف: "تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت خيرا حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم." أخرجه النسائي والطبراني.

٥٧ سورة الإسراء - ٨١

٥٨ سورة الضحى - ٩

٥٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٦٠ سورة هود - ٥٦

٦١ سورة يوسف - ١٠٨

٦٢ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.

٦٣ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.

٦٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٦٥ حديث شريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٦٦ سورة الأنبياء - ٣٤

٦٧ سورة يوسف - ١٠٨

٦٨ سورة الكوثر - ١

٦٩ سورة طه - ١٣٢

٧٠ سورة الأنفال - ٦٣

٧١ سورة القيامة - ٣٦:٣٧

٧٢ سورة غافر - ٥٧

٧٣ سورة النساء - ١١٣

٧٤ سورة الحديد - ٢٨

٧٥ سورة الأحزاب – ٣٧

٧٦ سورة ص - ٣٩

٧٧ في إشارة للحديث الشريف "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا." أخرجه البخاري ومسلم.

٧٨ سورة العنكبوت - ٤٦

٧٩ سورة العنكبوت - ٤٦